فِي الثُّلُثِ الآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ

،تَسْكُتُ الأَرْضُ
الْمِيَاهُ تَعْمُرُ قَدَمَيْهَا
وَتَحْبِسُ أَنفَاسَهَا
كَأَنَّهَا تَسْتَشْعِرُ مُرُورَ الْمُقَدَّسِ
خَفِيفًا كَهَمْسٍ لَا يُرَى
وَعَمِيقًا كَجُذُورِهَا الضَّارِبَةِ فِي الْقِدَمِ

يَنْبَسِطُ حَوْلَهَا زَفِيرٌ صَامِتٌ
يَنْسُجُ سَكِينَةً لَا يُعَكِّرُهَا شَيْءٌ
كُلُّ ذَرَّةِ غُبَارٍ تَغْدُو ذَاكِرَةً
تَحْمِلُ سِرًّا أُودِعَ فِي الصَّمْتِ
سِرًّا أَعْمَقَ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ الْكَلِمَاتُ

،وَفَوْقَهَا، عَلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ
تَقُومُ الْبُرْدَةُ
شَامِخَةً، لَا يَعْتَرِيهَا اضْطِرَابٌ
تَلَامِسُهَا نَسْمَةٌ رَقِيقَةٌ

،لَمْ تَعُدْ ثَوْبًا
،إِنَّهَا حُضُورٌ
،إِنَّهَا إِصْغَاءٌ
.إِنَّهَا حِمَايَةٌ

تَلْتَفُّ حَوْلَهُ حَوْلَهُ هُوَ
كَأَنَّهَا تَعْرِفُ اللَّيْلَ
وَتُدْرِكُ ثِقَلَ اللَّحْظَةِ الْمُقَدَّسَةِ
وَفِي طَيَّاتِهَا يَسْرِي نَفَسٌ قَدِيمٌ
ذَاكَ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ
بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

،تُصْبِحُ الْبُرْدَةُ عِنْدَئِذٍ صِلَةً
خَيْطًا مَشْدُودًا بَيْنَ مُتَّسَعَيْنِ؛
السَّمَاءُ تُنَادِيهَا
،تَرْتَجُّ بِهَمْسَةِ النُّجُومِ
وَالْأَرْضُ تَضُمُّهَا
،عَمِيقَةً، وَفِيَّةً
كَأُمٍّ تَفْهَمُ
.مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْطِقَ

فِي هَذَا الصَّمْتِ الْحَيِّ
،تَنْحَنِي النُّجُومُ
وَيَسْجُدُ الْقَمَرُ
شُعْلَةً وَادِعَةً
.مُعَلَّقَةً فِي الْعُلُوِّ

يَبْقَى كُلُّ شَيْءٍ مُعَلَّقًا
فِي نُورٍ لَا يَبْتَغِي اللَّمَعَانَ
.بَلِ الْكَشْفَ

،وَهُنَاكَ
بَيْنَ سَمَاءٍ يَقَظَةٍ
،وَأَرْضٍ مُنْصِتَةٍ
تُصْبِحُ الْبُرْدَةُ
مَوْضِعًا يَنْزِلُ فِيهِ النُّورُ
وَتَرْتَفِعُ فِيهِ الصَّلَاةُ
مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ
بصدق حضورها وحده